

القسم الأول الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من القرآن الكريم

وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن؛ حيث يقول: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوَلَّدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ } [الإخلاص: 1-4]. الشرح * قوله: (وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه... إلخ). يشير شيخ الإسلام بذلك أن من صفات الله التي نؤمن بها ما تضمنته سورة الإخلاص وهي: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوَلَّدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ } فإيضاً اشتغلت على النفي والإثبات. ففي قوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } إثبات للإلهية، وإثبات للأحدية. وفي قوله تعالى: { اللَّهُ الصَّمَدُ } إثبات الصمدية. فهذا في الإثباتات. وفي قوله تعالى: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوَلَّدْ } نفي الولد والوالد عن الله تعالى. وفي قوله: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ } نفي للكافر، وهو المكافئ. فهذا في النفي. فالحاصل أنها اشتغلت على نفي وإثباتات. فالصفة الأولى: صفة الإلهية، ومعنى الإلهية: هي الاستحقاق للتأله، ومعنى ذلك أنك تأله، أي: تحبه وتخصع له، وذلك يؤخذ من اسم الله: لأنه في الأصل الإله. ولفظ الجلالـة "الله" يعني: ذو الألوهـية والعبودـية على خلقـه أجمعـين، أي: المستحق لأن ياللهـوه، أي: يعبدـوه. الصـفة الثانية: صـفة الأـحدـية، فـكونـه أحدـاً بـمعـني واحدـ، أي: هو الإـلهـ الواحدـ، فلا تـجعلـوا مـعـه آلهـةـ أخرىـ. أي: لا تـألهـوا فـي قـلـوبـكـمـ أحـداـ غيرـهـ. غيرـهـ كـحبـهـ؛ وـتـقـرـبـوا إـلـيـهـ كـتـقـرـبـكـمـ إـلـىـ اللهـ وـنـحـوـ ذـلـكـ، بلـ اللهـ سـبـحـانـهـ هوـ الـهـمـ وـحـدـهـ، كماـ فيـ قولـهـ تعالىـ: { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ } [البقرة: 163]. أي: هوـ المتـفردـ بالـإـلهـيـةـ، وـقولـهـ: { وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ } [المائدة: 73]. الصـفة الثالثـةـ: صـفة الصـمدـيـةـ، وـالـصـمدـ: معـناـهـ الـذـيـ تصـمـدـ إـلـيـهـ القـلـوبـ، أوـ السـيـدـ الـذـيـ اـنـتـهـيـ سـوـدـدـهـ؛ فـهـوـ مـنـ أـسـمـاءـ اللهـ تـعـالـيـ الـتـيـ تـقـضـيـ مـعـانـيـ، فـنـعـتـقـدـ أـنـ مـنـ أـسـمـاءـ اللهـ الصـمدـ، وـأـنـ الـذـيـ تصـمـدـ إـلـيـهـ القـلـوبـ، وـأـنـ السـيـدـ الـذـيـ اـنـتـهـيـ فـيـ سـوـدـدـهـ، فـهـذاـ فيـ الإـثـبـاتـاتـ. وـأـمـاـ النـفـيـ: فـنـعـتـقـدـ أـنـ اللهـ لمـ يـلدـ وـلمـ يـوـلـدـ، أيـ: لمـ يـكـنـ لـهـ الـوـلـدـ وـلـدـ، وـقـدـ أـكـثـرـ اللهـ مـنـ نـفـيـ الـوـلـدـ؛ لأنـ المـشـرـكـيـنـ جـعـلـواـ لـهـ وـلـدـاـ. كـمـاـ فيـ قولـهـ تـعـالـيـ: { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَ } [الرـخـرفـ: 19]. وـكـمـاـ قالـ: { أَلَيْكُمْ الْبَيْنُ وَلَهُمُ الْبُيُونُ } [الصـافـاتـ: 149]. وـقـالـ تـعـالـيـ: { وَقَالُوا أَتَحُدَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا لَقَدْ جَنِّنْ شَيْئًا إِلَّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْقَطِرُنَ مِنْهُ وَيَسْقُقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ هَذَا أَنْ دَعَوْلَهُ لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَخَدَّ وَلَدًا إِنْ كُلَّ مَنْ فِي السـمـاؤـاتـ وـالـأـرـضـ إـلـاـ أـتـيـ الرـحـمـنـ عـبـدـاـ } [مرـيمـ: 88-93]. فـسـبـبـ نـفـيـ الـلـهـ الـوـلـدـ عـنـ نـفـسـهـ هـوـ أـنـ المـشـرـكـيـنـ جـعـلـواـ لـهـ وـلـدـاـ، وـالـلـهـ تـعـالـيـ مـنـزـهـ عـنـ ذـلـكـ، وـهـكـذـاـ النـصـارـىـ قـالـواـ: الـمـسـيـحـ اـبـنـ الـلـهـ، وـالـيـهـودـ قـالـواـ: عـزـيرـ اـبـنـ الـلـهـ فـيـ قولـهـ تـعـالـيـ: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ } [التـوبـةـ: 30]. وـقـدـ حـكـيـ اللـهـ عـنـ الـجـنـ أـنـهـ قـالـواـ: { مـاـ أـنـجـدـ صـاحـبـةـ وـلـدـاـ } [الـجـنـ: 3]. وـقـالـ: { أـنـيـ يـكـوـنـ لـهـ وـلـدـ وـلـمـ تـكـنـ لـهـ صـاحـبـةـ } [الـأـنـعـامـ: 101]. يعنيـ: زـوـجـةـ، فـذـكـ كـلـهـ تـنـزـيهـ للـهـ تـعـالـيـ؛ لأنـ الـوـلـدـ غـالـبـاـ يـشـبـهـ أـبـاهـ، وـالـلـهـ تـعـالـيـ يـقـولـ: { لَيْسَ كَمِتْلِهِ شَيْئٌ } [الـشـورـىـ: 11]. وـلـأنـ الـوـلـدـ يـقـومـ مقـامـ أـبـيهـ، وـيعـينـهـ فـيـ مـلـكـهـ، وـالـلـهـ تـعـالـيـ لـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ ذـلـكـ؛ لـكـمـالـ قـيـومـيـتـهـ، فـهـوـ المـتـفـرـدـ بـذـلـكـ جـلـ وـعـلاـ. وـأـمـاـ قولـهـ: { وَلَمْ يُولَدْ } [الـإـخـلاـصـ: 3]. فـهـوـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ الـقـدـيمـ الـأـوـلـ الـذـيـ لـمـ يـسـبـقـ بـعـدـمـ، فـلـيـسـ لـهـ الـوـلـدـ وـلـدـ. وـأـمـاـ قولـهـ: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ } [الـإـخـلاـصـ: 4]. فـإـنـ الـكـفـوـ: معـناـهـ الـمـكـافـيـ، وـالـمـساـوـيـ، وـالـنـنـظـيرـ، وـالـمـثـيـلـ. فـالـمـثـيـلـ: أـنـهـ لـيـسـ لـهـ تـعـالـيـ مـثـيلـ، وـلـأـ شـرـيكـ، وـلـأـ شـرـيكـ، وـلـأـ شـرـيكـ. فـإـنـ الـكـفـوـ، فـهـذاـ فيـ النـفـيـ. فـإـذاـ قـرـأـتـ هـذـهـ السـوـرـةـ؛ فـيـجـبـ عـلـيـكـ أـنـ تـعـقـدـ عـدـةـ أـمـورـ: الـأـوـلـ: الـأـلوـهـيـةـ الـلـهـ؛ يعنيـ: أـنـهـ هوـ الإـلـهـ الـحـقـ الـذـيـ يـجـبـ أـنـ يـفـرـدـ بـالـأـلوـهـيـةـ. ثـانـيـاـ: وـحـدـانـيـتـهـ وـتـفـرـدـ بـالـأـلوـهـيـةـ، وـأـنـوـاعـ الـعـبـادـةـ. ثـالـثـاـ: سـوـدـدـهـ وـصـمـدـيـتـهـ، وـهـذـهـ الثـلـاثـةـ فـيـ إـثـبـاتـاتـ. رـابـعاـ: أـنـ تـنـزـهـهـ عـنـ الـكـفـوـ؛ يعنيـ: الـمـكـافـيـ وـالـمـساـوـيـ، وـهـذـانـ الـأـمـرـانـ فـيـ النـفـيـ، فـتـجـمـعـ بـيـنـ إـثـبـاتـاتـ وـنـفـيـاتـ. فـهـذـهـ السـوـرـةـ عـظـيـمـةـ، حتـىـ أـخـبـرـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ. بـأـنـهـ تـعـدـ ثـلـثـةـ الـقـرـآنـ أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ رقمـ (5513) فـيـ فـصـائـلـ الـقـرـآنـ، بـابـ: (قـلـ هـوـ اللـهـ أـحـدـ) مـنـ حـدـيـثـ أـبـيـ سـعـيدـ الـخـدـريـ، وـمـسـلـمـ رقمـ (811) كـتـابـ صـلـاةـ الـمـسـافـرـينـ، مـنـ حـدـيـثـ أـبـيـ الدـرـاءـ، وـرـقـمـ (812) مـنـ حـدـيـثـ أـبـيـ هـرـيـثـةـ بـابـ: " فـضـلـ قـرـاءـةـ، (قـلـ هـوـ اللـهـ أـحـدـ)"ـ. يعنيـ: فـيـ الفـضـلـ؛ لـأـنـ فـضـلـهـ كـفـلـ ثـلـثـةـ الـقـرـآنـ، وـسـمـيـتـ سـوـرـةـ الـإـخـلاـصـ؛ لأنـهاـ أـخـلـصـتـ فـيـ إـثـبـاتـ الـصـفـاتـ لـهـ تـعـالـيـ، أـنـ لـأـنـ مـنـ يـؤـمـنـ بـهـ وـيـعـتـقـدـ بـمـاـ دـلـتـ عـلـيـهـ يـكـوـنـ مـنـ الـمـخـلـصـيـنـ.